**شعرية قصيدة النثر**

حين أصرّت قصائد النثر منذ نعومة أظفارها على أن تجعل من اللغة ميداناً لعبثها الجميل ظلت مثار آراء تتناهبها يمنة ويسرة ، بين الذهاب في هذا العبث إلى آخر المدى ، وبين القول بوضع حدٍ معقول لهوس العبث ، ورسم خطوط حمراء لمدارات محرّمة لا يجوز انتهاكها في مسارات الشعرية وإبداعاتها .

وظل الإجماع النقدي بعد تنظيرات سوزان برنار لقصيدة النثر سارياً على (الشعرية اللغوية المضاعفة) القائمة على التوهج والمجانية ، والقصد الذاتي ، فطار الإيقاع على جناح الدلالة ، وصار جزءاً من أسرارها البعيدة ؛ وركناً خبيئاً في عمارتها اللغوية الباذخة .

إن التنويعات التي اعترت تنظيرات النقد ومنهجياته الدؤوب بعامة انصبت في الشعر على الحمولة اللغوية منذ أن صار النقد (لسانياً) عند المحطة الشكلانية ، ومن ثم البنائية وما بعدها ، فبدأ التركيز على تفكيك شفرة اللغة إلى كودات متباينة يصل بعضها حد اللامتناهي والطوبائي ، فامتلك الناقد بذلك سطوة اللغة المقابلة أو الرديفة ليعيد إنتاج النص مراتٍ ومرات بما تمنحه النصوص من حيوات لغوية مقابلة تنهض بها حركة الموار والثورة على المعروف والمستقر .

ومع قصيدة النثر امتلكت اللغة الشعرية قصداً ديناميكياً مضاعفاً ؛ فاللغة فيها قصد وغاية ،أو قصد مضاعف إذا ما عددنا اللغة الشعرية بعامة هي لغة مقصودة لذاتها تمييزاً لها عن اللغة السردية المقصودة لغاية التمثيل على تكوينات السرد وفواعله ، وإن كانت الحدود بينهما قد آلت إلى الاندثار .

ولعل النظرة المتأنية إلى قصائد النثر المكتوبة بهاجس اللغة أو العبث الجميل بجسدها أنتجت الكثير من النصوص المتفاوتة في قيمتها ، وما تحمله من ثقل إبداعي أو أسلوبي ، وهذا من طبيعة الأشياء إلا أن ما ينبغي العناية به ، والانتباه إلى حقيقة وجوده إنما يتمثل في اجتماع تجارب الشعراء في قصيدة النثر على تجريب حظوظهم في العبث باللغة ، ضمن تقنية المفارقة ، أو التضاد ، أو صناعة الإدهاش بالضربة الشعرية بمفارقة أفق التوقع ، ومعابثة المألوف .

ولكن هذا الجسد الأثيري للغة لم يكن ليمنح نفسه إلا لمن يجيد الحوار معه وإغواءه بوسائل رفيعة من العبث العارف بأسراره ، وطرائق مراضاته ، ومناغمته ليستجيب برقة ، ودعة ولين ، وليس بقسوة ،وعنت وتعسف ، وبين هذين الحدين تشعبت خطوط قصائد النثر ، وتناثرت على ضفاف ذلك الجسد ، أو غرقت في مياهه .